المحاضرة الثامنة

اسم استاذ المادة : عادل رشيد حسين **name professor subject : Adel Rashid Hussein**

اسم المادة : الفكر الجغرافي **Subject name : Geographical thought**

اسم المحاضرة : الفكر الجغرافي الحديث

Presentation neme : modern geographic thought

الفكر الجغرافي الحديث

أولا : الحركة العلمية في اوربا في عصر النهضة وأثر العرب على ذلك

اشرنا في الفصول السابقة إلى طبيعة الفكر الجغرافي في العصور القديمة وأكدنا فيه على الدور الذي احتلته الحضارات القديمة كالحضارة العراقية والمصرية والصينية وبقية المراكز الحضارية القديمة .

ثم شرحنا في الفصول الأخرى الفكر الجغرافي في المرحلة التي تلت مرحلة المراكز الحضارية القديمة والتي تمثلت في الفكر الاغريقي والروماني وأكدنا فيه على أهم خصائص الفكر الجغرافي الذي برز في هاتين المرحلتين ثم انتقلنا بعد ذلك إلى الأشارة للفكر الجغرافي العربي في مرحلة ما قبل الاسلام ودور العرب في تثبيت بعض الجوانب المهمة في الفكر الجغرافي العالمي.

واخيرا اشرنا بوضوح إلى الدور المهم الذي احتله الفكر الجغرافي العربي الاسلامي بالنسبة للفكر العالمي ويمكن القول بأن بداية تطور الفكر الجغرافي العربي الاسلامي بدأت منذ منتصف القرن الثامن الميلادي عندما أصبحت الجغرافية تحتل مركزا مرموقا بين الدراسات العربية ، نتيجة لعوامل كثيرة تمثلت في اتساع الرقعة السياسية للدولة العربية والحصول على المعلومات عن تلك المناطق التي حرروها او تاجروا معها واحتكاكهم بحضارات اخرى واهتمامهم بضرورة الحصول على المعلومات المتعلقة بالاقطار التي ينوون فتحها .

وفي خلال القرون الثمانية التي آلت فيها قيادة العالم إلى الأمة العربية والاسلامية قدم العرب والمسلمون للفكر العالمي اكثر مما أخذوا منه ، حيث برزت لديهم حالة الابداع والتطوير والتسامح العلمي الأمر الذي جعلهم قادة الفكر الجغرافي في هذه المرحلة من تاريخ العالم .

وفي الوقت الذي اضاءت فيه حضارة العرب والمسلمون اجزاء واسعة من العالم كانت اوربا تعيش على بقايا التراث الحضاري الذي ورثته من الحضارتين الأغريقية والرومانية ، والذي اخضعته الكنيسة لسيطرتها فتقلص وتقوقع حتى اصبح لا يعدو كونه مجموعة من المعلومات بعد أن حاولت الكنيسة أبعاد الفكر عن المقومات الحضارية لكل من الحضارتين الأغريقية والرومانية . فابتعد الفكر الجغرافي عن اراء بطليموس وهيرودوت

واداتوستين ، في الفترة المحصورة ما بين القرن الخامس الميلادي وبداية القرن الخامس عشر ، واخذت الاخطاء الجغرافية تتوسع وخاصة ما يرتبط منها بمواقع البحار والأنهار واتجاهها، وتركزت المعرفة الجغرافية في تحديد مراكز الأديرة واسمائها وعمل الخرائط التي تمثل البيئات المحلية .

وكان من نتيجة تلك الأخطاء أن تحدد الفكر الجغرافي في هذه المرحلة ووقع في تناقضات تمثلت في معاناة الكتابات الجغرافية في هذه المرحلة من الأخطاء السابقة العهد بطليموس وساد الطابع الخرافي والوصفي على كتاباتهم .

ومن الممكن ارجاع ذلك إلى عوامل عديدة منها تدهور طرق التجارة الرومانية . فمنذ نهاية القرن الثالث الميلادي كثرت القلاقل في الدولة الرومانية . ولم يتمكن الرومان من السيطرة على طرق المواصلات الرئيسية فتغير اتجاه المواصلات إلى الشرق الأقصى بعد ان كان طريق البحر الاحمر والخليج العربي والمحيط الهندي يمثل الطريق الرئيسي الذي يصل بين الشرق والغرب واصبحت حركة المرور بأيدي العرب والأحباش وخاصة في التجارة الهندية .

وبجانب تدهور طرق المواصلات فان الغزوات الجرمانية التي حدثت في خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي أدت إلى تحطيم الوحدة الرومانية وحضارتها ادت إلى انهيار النظام الإداري وتقسيم الفكر العلمي وخضوعه للضغوط الخارجية كل ذلك ادى الى اقلمة الخضارة وركودها.

ونعود الان لتسليط الضوء على طبيعة الفكر الجغرافي في هذه المرحلة المتمثلة في القرون الوسطى او في عصور الظلام حيث عمد بعض الكتاب على اطلاق مصطلح عصر الظلام على الفترة الممتدة من بداية العصور الوسطى حتى القرن الحادي عشر الميلادي .

وفي هذه المرحلة لم يطرأ تطور على طبيعة الفكر الجغرافي الاوربي بل استمرت الآراء الخاصة بأصل الأرض وشكلها الموروثة عن الاغريق والرومان مع تأثير وخضوع للفكر الكنيسي الذي سيطر على الفكر الجغرافي عامة .

واذا رجعنا إلى ما كتبه كتاب العصور الوسطى امثال أيسدور صاحب كتاب الأصول الذي يتكون من ٢٠ جزء، نجده يشير ان اسمها مشتق من استدارتها التي تشبه العجلة ولان البحار تطوقها وتحيط حدودها في دائرة ووافق على تقدير حجم الأرض وقدر محيطها ٢١٥٠٠ ميل وقام بتقسيم الكرة الأرضية إلى ثلاثة أقسام آسيا ، اوربا ، افريقيا.

وقد ايد ايسدور كاتب ثاني بخصوص استدارة الأرض وهو الكاتب رابان ماور الذي أشار «ان العالم يشبه العجلة وان مياه المحيط تحوط به من جميع الجهات وان العالم يعني كل عالم التاريخ او قصة الكنيسة العالمية كما أنها تستعمل ايضا في معنى مخالف لوصف الخروج عن طاعة الدين والتي تتستر تحت اسم العلم ».

اما بخصوص الأفق الجغرافي فإن الوضع السياسي العالمي الذي تمثل بظهور قوة العرب والمسلمين و بروز الامبراطورية العربية الاسلامية على الخارطة ، ساعد على تحديد الأفق الجغرافي لكتاب الجغرافية في اوربا فأقتصرت دراستهم على تحديد مناطق أوربا .

اثر العرب في تطور الحركة التعليمية في عصر النهضة :

اشرنا سابقا إلى أن الركود الفكري قد ساد الحركة العلمية في اور با اعتبارا منذ القرن الرابع الميلادي حتى نهاية القرن الحادي عشر ، ولم يقتصر ذلك الركود على علم بل شمل كافة العلوم ومنها الفكر الجغرافي .

ولكن ما أن حل القرن الثاني عشر الميلادي ، حتى بدأت بوادر تشير لبداية الحياة الفكرية ذات التأثير العميق في النتائج اكثر من بقية الميادين الأخرى تجارية كانت أم سياسية اذ شهد القرن الثاني عشر الميلادي بداية النهضة هي برغم ضيق نطاقها أشبه ما تكون في حيويتها وابداعها بحركة النهضة الأوربية الكبرى .

فمنذ أن بدأت الأحوال السياسية العامة في الاستقرار وغدا التنقل آمنا بين البلاد ، دبت الحياة الجديدة لدراسة القانون والطب والمنطق واللاهوت ، فنشأت الجامعات التي أخذت على عاتقها قيادة وتوجيه الحركة العلمية في هذه المرحلة.

ومن العلوم التي كان لها دورا مهما ونصيبا من البحث والتتبع الجغرافية ، لأن طبيعة القرن الثاني عشر والقرن الذي سبقه تطلبت معرفة جغرافية الكثير من مناطق العالم وخاصة ما يرتبط منها بمعرفة المناطق التي كانت ساحة للحروب الصليبية ، تلك الحروب التي كانت من اهم الوسائل لاحتكاك الغرب المتخلف حضارية بالشرق الوارث الحضارات ناضجة مؤثرة .

يضاف إلى ذلك أن المناطق التي كانت تحت سيطرة الحكم العربي والتي انتقلت إلى الأوربيين كونت لهم بيئة جديدة ساعدت على زيادة معرفتهم الجغرافية .

فالمؤلفات العربية التي حصلوا عليها عن طريق الحروب الصليبية او عن طريق البلاد التي سيطروا عليها بعد ان اخرجوا العرب منها ، وفرت لهم مصادر مهمة الزيادة معرفتهم الجغرافية ، واهم مشكلة جابهتهم مشكلة ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الأوربية ، لغرض نشر معرفتها .

ومنذ بداية القرن الثاني عشر بدأت حركة ترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية شملت كتب الفلسفة والرياضيات والفلك وبقية العلوم .

ومن المدارس التي اشتهرت كمدرسة للترجمة المدرسة التي أنشاها را يمندو اسقف طليطلة وكبير مستشاري قشتالة (١١٢٦ - ١١٥٢ م) وقد تولت هذه المدرسة تدريب المترجمين وتعليمهم اللغة العربية حتى اذا ما تمكنوا من معرفة اللغة قاموا بترجمة الكثير من كتب المعرفة العربية إلى اللغة اللاتينية ومن مشاهير مترجمي هذه المرحلة جيرارد الكريموني المتوفي سنة ١١٨٧ والذي قام بنقل اكثر من سبعين كتابا من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية ، ومن الكتب الجغرافية التي شملتها الترجمة كتاب وصف الهند للبيروني ومعجم البلدان الياقوت الحموي ومروج الذهب للمسعودي وكثير من كتب الرحلات .

وكان من نتيجة ذلك أن توفرت لدى الغربيين مصادر ساعدتهم على تصحيح الكثير من الأفكار الجغرافية الخاصة بشكل الأرض وطبيعة حركتها الأمر الذي فتح امامهم آفاقا جديدة في مجال المعرفة الجغرافية مما شجعهم على التفكير في مجال الكشف عن المناطق الجديدة فبرزت لديهم فكرة الكشوفات الجغرافية خاصة بعد آن اطلقوا على ما كتبه العرب في مجال علم البحار. وطبيعة الحياة اضافة إلى مساهماتهم في مجال اعداد الخرائط الخاصة بكثير من مناطق العالم .

ويكفي هنا أن نشير لخارطة العالم للادريسي التي قام برسمها عام ١١٥٥ م بناء على طلب الملك روجر ملك صقلية والتي بين فيها كثيرا من الانهار بالاضافة إلى البحار المعروفة حاليا .

هذه الجوانب التي قدمها العرب في مجال الجغرافية سواء كان ذلك في مجال الكتب ام الخرائط قد هيأت فكرة جديدة اتخذته النهضة الأوربية طريقة لرسم مسيرتها العلمية وخاصة في مجال تطوير الفكر الجغرافي . وقد برزت نتائج ذلك الفكر في مجال الكشوف الجغرافية في العصر الحديث ، والتي كان من نتائجها اكتشاف العالم الجديد .

ثانيا : حركة الكشف الجغرافي :

منذ أن وجد الانسان فوق سطح الكرة الأرضية ، حتى يومنا هذا وهو يبحث عن المجهول الذي يحيط ببئته الجغرافية ، حتى اذا ما انتهى من كوكبة انتقل إلى الكواكب الأخرى .

ودائرة معرفة الانسان للمحيط. الذي عاش فيه اتسعت بصورة تدريجية ، وقد شارك في توسيع تلك الدائرة جميع شعوب العالم متعاونة ومتبادلة بينها المعلومات التي من شأنها زيادة المعرفة .

فسكان الحضارات القديمة العراقية والمصرية اول من ساهموا في نمو المعرفة الجغرافية اذ نشأت في منطقتهم الحضارات التي عرفتها الانسانية والتي اعتمدت في بعض الأحيان على التجارة وفي البعض الاخر على الوافر الزراعي الموجود في بيئتهم .

وبجانب الحضارة العراقية والمصرية فقد ساهمت حضارات الشرق الأقصى في زيادة المعرفة الجغرافية ، فحضارة الصين والهند التي عاصرت الحضارات القديمة ساهمتا في زيادة المعرفة الجغرافية وخاصة في مجال توسيع الأفق الجغرافي الذي يكون الأساس للاستكشافات الجغرافية ، ونظرا لطبيعة الموقع الجغرافي الذي احتلته الحضارتين القديمتين العراقية والمصرية ولقربها من البحر المتوسط الذي ، يمثل المدرسة الأولى لتعلم الانسان فن الملاحة . فقد ساهمتا مساهمة فعالة في توسيع الافق : الجغرافي للانسان .

ومع أن العراقيين القدماء اعتقدوا أن مركز العالم يقع عندما نبع الفرات في جبال طوروس وان السماء التي تحيط بهذه الأرض تظهر على شكل قبة تسيطر عليها قوة خفية خلف البحروكذلك المصريين الذين اعتقدوا أن العالم على شكل مستطيل وان مصر تحتل الأراضي الضحلة التي يجري فيها نهر النيل وسط هذا الشكل المنتظم فان ذلك لم يحل دون توسيع معرفتهم بالمناطق الأخرى .

وتشير الأدلة التاريخية إلى أن سرجون الأكدي قام بحملات خارج حدود دولته فقد اتجه بسفنه إلى الخليج الجنوبي بعد أن وحد بلاد سومر واكد سنة ٢٤٠٠ ق.م ووصل إلى دلمون (البحرين) ثم فتح الساحل الشرقي للخليج العربي بعدها عاد ففتح معظم اجزاء الهلال الخصيب وعيلام وقسما من آسيا الصغرى إلى ساحل البحر المتوسط، وا بانت التحريات التي جرت في منطقة الخابور وجود مستوطنة كبيرة وقصر بناه « نرام سن » حفيد سرجون .

وقد شملت تلك الفتوحات مناطق واسعة برا وبحرا ، حيث انها امتدت شرقا فشملت ايران وامتدت غربا حتى وصلت جزيرة كريت وجنوبا امتدت حتى وصلت إلى عمان وجنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي وجزره ، والتقت الحضارة العراقية بالحضارة المصرية والتي كانت بدورها قد شملت مناطق عديدة فمنذ عهد الأسرات كانوا على معرفة بالدول المحيطة بهم في شمال افريقية والساحل الفينيقي وكانوا على اتصال بعدد من المماليك في جنوب مصر فوصلوا إلى جنوب البحر الاحمر و بلاد النوبة ومناطق من السودان .

لقد كانت التجارة مع الأقطار الخارجية من اهم الدوافع التي دفعت الحضارتين العراقية والمصرية للبحث عن طرق الاتصال الخارجي ومن ثم الوصول إلى مناطق • جديدة ، كذلك كان للعامل السياسي دوره الفعال في توسيع رقعة الدولتين الأمر الذي ساعد على توسيع الافق والمعرفة الجغرافية للحضارتين الاصليتين وبجانب الحضارتين العراقية والمصرية، ساهمت الحضارة الفينقية بقسط واسع في مجال

توسيع الأفق الجغرافي ، ففي الوقت الذي كان فيه الفضل الأكبر للحضارتين لرسم خارطة اليابسة و بيان جوانبها المعلومة، كان للفينقيين الدور الفعال في مجال توسيع الأفق الجغرافي البحري .

فقد اشرنا سابقا إلى أن النشاط الفينيقي شمل البحر المتوسط وسواحله حتى اصبح يكون بحيرة فينيقية معلومة الأطراف والسواحل والجزر ، اذ انهم شملوا بتجارتهم جميع مناطق البحر المتوسط والسواحل الجنوبية للقارة

الأوربية ، والت حضارتهم بالحضارة الأيجية التي كان مقرها جزيرة كريت ، ولم يكتفوا بذلك بل انهم خرجوا من البحر المتوسط وجابو معظم سواحل المحيط الأطلسي الشرقية .

ويمكن ان نعرف الفينيقيين بأنهم الرواد الأول لاكتشاف مجاهل البحار والمحيطات وهنا نشير إلى أهم رحلة استكشافية قام بها سكان قرطاجنة والمعروفة برحلة هانو في عام ٥٢٠ ق . م والتي تكونت من ٣٠٠٠ نسمة رحلوا على طول الساحل الشمالي لافريقية واخترقوا مضيق جبل طارق ووصلوا في سيرهم حتى ربودى اورو ، حيث اسسوا هناك مركزا تجاريا استخدموه فيما بعد كقاعدة خرجوا منها في عديد من الرحلات الاستكشافية حتى انهم وصلوا إلى نهر السنغال والرأس الاخضر .

اما دور الحضارة الإغريقية في مجال توسيع الأفق الجغرافي ، فقد تمثل وبرز في فتوحات الاسكندر وخاصة ما يتعلق منها بآسيا الصغرى والهند وآسيا الوسطى وسواحل المحيط الهندي .

كما ساهمت الحضارة الرومانية بتوسيع الأفق الجغرافي في داخل القارة الاوربية ، حيث أن نشاطهم في حوض البحر المتوسط يعتبر تكرارا لتجربة الفينيقيين الا أن دورهم البارز يظهر في التوسع نحو داخل القارة الأوربية ، فوصلوا إلى شمال وغرب المانيا والي شمال فرنسا وبريطانيا.. .

وفي الجزء الشرقي من العالم القديم فقد ساهمت الحضارة الصينية في الكشف عن معظم السواحل الجنوبية والشرقية لقارة آسيا إذ من المعروف ان الصينيين وصلوا بتجارتهم إلى سواحل الخليج العربي والبحر العربي .

وبذلك فان الحضارات القديمة الاصلية منها والفرعية ساهمت في كشف الكثير من مناطق العالم القديم ، والذي أصبح معروفة في بداية عصر النهضة الأوربية باستثناء المناطق الجنوبية والوسطى من قارة افريقية وخاصة تلك المناطق التي تقع جنوب الصحراء .

مساهمة العرب في الكشوف الجغرافية :

من الخطأ أن نتصور أن النشاط العربي كان مقتصرة على المناطق البرية باعتبار ان بيئتهم كانت بيئة صحراوية وننسى ان البحر المحيط بهم من اكثر جهاتهم وعليه فان العرب قبل الاسلام كانوا تجارة وملاحين تمرسوا بركوب البحار إلى البلاد النائية فركبوا البحر الأحمر إلى مصر وبلاد الحبشة وركبوا بحر عمان والمحيط الهندي وطافوا حول سواحل الهند يصدرون اليها ويستوردون منها..

فمنذ العصر السبئي والحميري استخدم العرب البحر كوسيلة نقل دائم وثابت واكثر امانا . واذا كانت المصادر التي تعيننا على معرفة ذلك محدودة وخاصة عن مرحلة الاسلام فلا يمكن أن نتناسى دور الحضارة واهل عمان وركو بهم للبحر منذ زمن بعيد .

ومن العرب الذين اشتغلوا بالتجارة قريش ذات النشاط التجاري الواسع وكانت تبعا لذلك كثيرة الرحلات والاسفار وكان لها رحلتان مشهورتان كل عام هما رحلتا الشتاء والصيف ورد ذكرهما في القرآن الكريم وكانت رحلة الشتاء جنوبا إلى اليمن ورحلة الصيف شمالا إلى الشام .

ويمكن أن نستنتج مما تقدم أن مساهمة العرب في توسيع الأفق الجغرافي مرحلة قبل الاسلام لا يقل عن بقية الأمم المعاصرة لهم بل انهم فاقوا تلك الأمم اما في العصر الإسلامي فقد كانت الفتوحات العربية تمثل حملات استكشاف ودراسة المناطق عديدة في العالم القديم. وكان من نتيجتها تكوين الامبراطوريات العربية التي امتدت من الصين شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا ومن جنوب اوربا حتى الصحراء الكبرى في افريقيا .

ونتيجة للاوضاع السياسية التي مارستها الأمة العربية و بروز قوتها وهيبتها بين شعوب العالم، فقد ساعد ذلك على تشجيع الكثير من ابناء الأمة العربية للارتياد والاسفار فقام من العرب رحالة جابوا ارجاء العالم .

وكانت الرحلات التي قام بها الرحالة العرب ذات طابع فني في الأسلوب متأثرة بالظواهر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والعلمية .

والرحلات ذات الطابع الفني بدأت منذ بداية العصر الإسلامي ففي زمن الرسول (ص) حدثتا رحلتان واحدة تنسب إلى تميم الداري والثانية إلى عبادة بن الصامت ولما كان موضوع الفكر الجغرافي في العصر الإسلامي قد تناولناه بالتفصيل ، فاننا سنكتفي بالاشارة اليها اشارة عامة ، ومن اهم الرحلات في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي .

١) رحلة سلام الترجمان (٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م) .

٢) رحلة ابن موسى المنجم (٢٧٧ هـ - ٨٤٢ م) .

٣) رحلة سليمان التاجر (٢٣٧ هـ - ٨٥١ م).

٤) رحلة ابن وهب القريشي (٢٥٦ هـ - ٨٦٩ م) .

٥) رحلة اليعقوبي (٢٩٦ هـ - ٩٠٥ م) .

وهذه الرحلات باستثناء رحلة اليعقوبي يغلب عليها طابع الوصف العام للاوضاع الجغرافية او الطبيعية منها والبشرية ، وقد برز في رحلة اليعقوبي خصائص علمية ميزتها عن الرحلات السابقة .

اما في القرن الرابع الهجري والذي يتفق مع القرن العاشر الميلادي فان الرحلات بدأت تأخذ طابعة جديدة يبرز فيه جانب التخصص فهنالك رحلات جغرافية منها

١) رحلة ابن فضلان (٣٠٩ هـ - ٩٢١ م) .

٢) رحلة ابن حوقل (٣٣١ هـ - ٩٤٣ م).

٣) رحلة المقدسي (٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م) .

٤) رحلة أبي دلف (٣٩٠ هـ - ١٠٠٠ م).

٥) رحلة عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ هـ - ١١٦٢ م) .

٦) رحلة الحموي (٥٧٥ هـ - ١١٧٩ م) .

وهناك رحلات برز فيها الطابع العلمي لذلك يمكن اعتبارها رحلات علمية أمثال:

١) رحلة البيروتي (٣٩٢ هـ - ٤٤٠ هـ).

٢) رحلة بن فضلان (٠٠٠ – ٤٤٤ هـ).

وكانت الرحلة الأولى تؤكد على الجوانب الفلكية والتنجيم والرياضيات والقوانين عند البيروتي.

اما الرحلة الثانية فقد سادها الطابع الطبي وكلا الرحلتين ساد عليها الطابع الادبي شأن جميع المعارف في تلك المرحلة .

وهنالك النوع الثالث من الرحلات وتتمثل في الرحلات التي يسود عليها الطابع التاريخي مثال :

١) رحلة المسعودي (٣٠٩ هـ . ٩٢١ م).

٢) رحلة اسامة بن منقذ (٥٨٤ هـ - ١١٨٧ م) .

٣) رحلة ابن خلدون (٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) .

٤) رحلة الهروي (٦١١ هـ - ١٢١٥ م).

ومن الرحلات المهمة التي بقيت آثارها واضحة المعالم رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة ، اشرنا اليها عند بحثنا للفكر العربي في العصر الاسلامي ..

لقد اشرنا فيما سبق إلى المراحل التي مر بها اتساع الأفق الجغرافي قبل النهضة الأوربية الحديثة والتي كان من نتائجها الأستكشافات الجغرافية في مرحلتها الحديثة والتي كان من بداية نتائج تلك الاستكشافات اكتشاف العالم الجديد .